الباب الأول:

الزواج في الإسلام وحكمة تقنين إباحة تعدد وتنوع الزوجات

obeikandl.com

الفصل الأول:
الإنسان في الرسالة المحمدية

لا ريب أن الإنسان وقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لا يحسد عليه كثيرا ؛ جراء ما التصق به من وزر أبيه الأول (آدم) فذلك الوزر الذى اعتبر الخطيئة الأولى، وخطيئة باقية موروثة لابد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشرى كافة.

ويحسم ما جاء في القرآن الكريم هذا الأمر حين يتعرض لقصة آدم وما تروى فيه من أكل الثمرة فيقول عز وجل في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة ٣٧).

وآدم أبو البشرية قد كرمه الله سبحانه وتعالى وفضله على الملائكة . . .

يقول جلا وعلا في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة ٣٤).

وذلك لأن الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى قادرا على الخير والشر وليس كالملائكة التى خلقها العلى القدير لفعل الخير، فيكون له عليها فضل الإرادة لما يأتيه من الصالحات أما بنو آدم فيقول الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء (الآية ٧٠): ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء ٧٠).

ويخاطب عز وجل الناس في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ

عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحج ٦٥) .

وفي سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (سورة لقمان ٢٠) .

إذا كانت المسؤولية هى أساس الكرامة والإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق متعارف عليها فإن هذا ما قطع به الإسلام ووضع به الحجرالأساسى لكرامة بنى آدم. يقول المولى عز وجل في سورة النجم: الآيتان ٣٨، ٣٩: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (سورة النجم ٣٨ - ٣٩) .

ويقول تبارك وتعالى في أكثر من سورة على سبيل التاكيد: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة فاطر ١٨) .

وهو عز وجل القائل في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين ٤) وهذه المسؤولية هى التى يسميها العلى القدير في القرآن الكريم بالأمانة .

هذه الأمانة التى جاء في سورة الأحزاب عنها قول الله تبارك وتعالى عنها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (سورة الأحزاب ٧٢) .

ثم نجد في سورة الإسراء قوله جل وعلا: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (سورة الإسراء ١٣) والحق كل الحق إنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ بعيدا عن الإسلام

في ظل تلك الفترة القاسية القاتمة التى تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء، فيمضى في حياته مضى المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث.. ولاريب أن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها. وأن رفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، وبمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه وولادة جديدة ورد إعتبار لا شك فيه بوضع زمام كل إنسان بيد نفسه. ويؤكد الإسلام في الرسالة المحمدية الخاتمة على أن الناس في كرامة البشرية أمة واحدة بغير تفريق إلهها إله واحد أحد لا إله إلا هو له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد جاء في سورة الأنبياء قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء ٩٢).

وقوله عز وجل وعلا في سورة البقرة: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة ٢٥٥).

وجاء في سورة الحجرات قوله تبارك وتعالى: الآية: ١٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات ١٣).

أجل لا عصبية ولا شعوبية، ولا فروق من حيث اللون أو اللغة.. ويقول عز وجل في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (سورة الروم ٢٠).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

﴿وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (سورة الروم ٢٢).

وهكذا صار الناس سواسية كأسنان المشط وأكرمهم عند الله أتقاهم: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة ١١).

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر ٩) إلا إن لمن له أذنا للسمع فليسمع ومن كان من العقلاء فليتأمل ويدرك.. فإن من كرامة الإنسان الكريم على نفسه أن يتبع الحق، ويجهر به ويحتمل في سبيل ذلك من الألم ما يصيبه بنفس راضية.. وعلى المؤمنين أن يتواصوا بالصبر كما تواصوا بالحق.. كما جاء في قوله عز وجل في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر ١ - ٣) وأن الغلبة للحق في نهاية المطاف على كل حال في قوله عز وعلا: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء ١٨).

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء ٨١).

كما ينبغي أن يقر الإنسان الكريم بالحق، ولو على نفسه وآله الأقربين كما ورد قوله تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة النساء ١٣٥) فإن الحق مقدس ولو كان فيه مغنم لعدو، فذلك هو لباب التقوى فقد جاء في قوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة ٨) .

ثم جاء في ختامها: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة المائدة ١١٩) .

ويشيد المولى عز وجل في سورة الفرقان بالصادقين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان ٧٢) .

إن الإنسان الكريم العزيز بإيمانه لصبور على المكاره وإن أوذى في سبيل الحق فقد جاء في سورة البقرة قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة ١٥٣) .

وقوله جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران ٢٠٠) .

وفى سورة ابراهيم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (سورة إبراهيم ٢) ، فالشجاعة الحق والشهادة لله والصبر على الإيذاء في سبيل الحق إنها لصفات الإنسان الكريم على نفسه حقا ، ولكنها لا تتم روعتها إلا بالخشوع للرحمن إذ يقول عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة ٤٣ - ٤٦) .

وفى سورة لقمان: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان ١٨ - ١٩) .

وفى سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (سورة غافر ٣٥).

وفى سورة النحل: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (سورة النحل ٢٣).

ولعلك عزيزى القارئ قد شاهدت مرات كم تميعت نفسك وغثيت كلما رأيت عتلا من المستكبرين غرهم من الدنيا ظل من السلطان وما دروا لغفلتهم أن السلطة في ذاتها ليست شيئا، وأن الولاية على الناس جذوة من النار أما الشيء المجدى حقا، فهو رعاية الله في حقوق الناس، واستخدام السلطان للخير والعدل في غيرة على الحق، وحماسة لنصرته، وابتغاء لوجه الله لا يعرفه إلا الخاشعون.

وسبحان من أنزل هذا الكلام: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (سورة الإسراء ٣٧-٣٨) ولا تتم صورة الإنسان الكريم الغيور على الحق، والصادق في القول، الصابر في الهول، الخاشع للرحمن إلا بأن يكون صادق الوعد موفيا بالعهد والعقد.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء ٣٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (سورة المائدة ١)، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النحل ٩١).

وما من خلة أزرى بالإنسان الكريم من النفاق وقد أنحى عليه العلى

القدير في القرآن المجيد إنحاء عنيفا .

﴿إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْـمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَـهُمْ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء ١٤٢ - ١٤٥)، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَـهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (سورة آل عمران ١٦٧) .

فالإنسان الكريم حقا لا ينافق، ولا يخشى في الله والحق شيئا، ينصر الله والله ناصره وذلك هو جوهر إيمانه وانه بذلك لعزيز المكان في الدنيا والآخرة، ولا يسعى في دنياه سعى الغريب والذليل. يقول جلا وعلا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْـمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص ٧٧) وهكذا يكون الإنسان متكامل الجوانب لا يشكو فصام الروح والجسد ذلك الفصام الذى عانى منه الكثيرون ولا يعرف الفصام إلا من يكابده، وبهذا يكون الإنسان سيد الأرض حقا لا ينظر إلى طيباتها نظرة الحسير، ولا يمشى في جنباتها مشية الأسير ولا يثقل كاهله الخزى من نوازعه وفى يده زمام نفسه، وقد أحل له ما لم يرد فيه تحريم وتقربه عينه في غير حرج ولا غضاضة .

*****